التتميم والإيغال

وأثرهما في معاني القرآن الكريم

إعداد الدكتور

عبد الرحمن عبدالله سرور الجرمان

الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

دولة الكويت

حامد محمد حمود المجرب

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية الأساسية

الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب

دولة الكويت

التتميم والإيغال وأثرهما في معاني القرآن الكريم

عبد الرحمن عبد الله سرور الجرمان، حامد محمد حمود المجرب

قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية الأساسية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، دولة الكويت.

البريد الإلكتروني: a.aljarman@paaet.edu.kw

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة أسلوبين من الأساليب البلاغية التي اشتمل عليها القرآن الكريم وهما: أسلوبا التتميم والإيغال، فهما ضربان من ضروب البلاغة، وفنان طريفان، وقسمان لطيفان من أقسام الإطناب، وفحواهما أن يأتيا بنكات بلاغية لتوضيح المعنى أو توكيده أو إزالة اللبس، وفيهما من المبالغة في الوصف والتصوير ما بلغ أسمى حدود الإعجاز، ويثيران في النفس أسمى آيات الإعجاب. وقد اتبعت في كتابته المنهج التحليلي للآيات القرآنية محل الدراسة والمشتملة على أسلوبي التتميم والإيغال؛ لاستخراج النكات البلاغية وبيان أثرها في المعنى، وقد قُسِّم إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ثم فهرس للمراجع والمصادر. وأبرز ما توصل إليه البحث من نتائج: أن أسلوب التتميم هو الإتيان بفضلة مفيدة في كلام لا يوهم خلاف المراد، وينقسم إلى قسمين: تتميم المعاني وتتميم الألفاظ، ومن أهم أغراضه البلاغية: المبالغة والتأكيد، والاحتياط والصيانة من احتمال الخطأ، وتقويم الوزن في الشعر. وأن أسلوب الإيغال هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، وينقسم إلى قسمين: إيغال مبالغة وإيغال احتياط، ومن أهم أغراضه البلاغية: المبالغة والتأكيد، والتشبيه، وإتمام القافية في الشعر أو تناظر الفقرات في النثر.. ومن أبرز ما يوصي به البحث: مزيد دراسة للأساليب البلاغية في القرآن الكريم وبيان أثرها في معاني الآيات القرآنية الكريمة، فكثير من الأساليب تحتاج إلى دراسة تطبيقية على آيات القرآن الكريم، واستخراج الدقائق البلاغية منها.

الكلمات الدلالية: القرآن الكلمات – تتميم – إيغال – بلاغة - إطناب.

Realization and Shrewdness and their Impact upon Maning in the Holy Qur'an

By: Abdel-Rahman Abdallah Surour Al- Jarman &Hamed Muhammad Hammoud Al-Majber
Department of Islamic Studies
College of Basic Education
Public Authority for Applied Education and Training
State of Kuwait

Abstract

This research studies two the rhetorical styles included in the Holy Qur'an; those of realization and shrewdness. Those styles are purely rhetorical, and they are also two unique arts. Those styles represent two magnificent divisions of exaggeration. In short, those styles are represented in rhetorical and humorous structures which clarify the meaning, emphasize it and resolve any ambiguity. Those styles include a high standard of exaggeration that reaches the degree of miraculousness. In addition, they arouse a sense of admiration. Accordingly, the research applies the analytical approach while examining the Quranic verses under study. Those verses implicitly include the styles of realization and shrewdness. To highlight the rhetorical and humorous structures and specify their impact upon meaning, the research is divided into an introduction, two chapters, a conclusion, an index of references and sources. The most outstanding findings of the research draw attention to the fact that the style of realization provides a useful addition in words that do not delude the reader through referring to the opposite of what is intended, and it is divided into two parts: realization of meanings and words. The most important rhetorical purposes include exaggeration, emphasis, precaution, maintenance from the possibility of error, and evaluating rhythm in poetry. Moreover, the style of shrewdness is to seal speech with a humorous structure which could be interpreted as redundant. Shrewdness is divided into two parts: exaggerated shrewdness and probable shrewdness. The rhetorical purposes include exaggeration, emphasis, simile, to fulfill the poetic rhyme or symmetry of paragraphs in prose. The most outstanding recommendations of the research are running further studies on the rhetorical styles in the Holy Qur'an and their impact on the meaning of its verses. Likewise, many styles require running an applied study on the verses of the Holy Qur'an to highlight the rhetorical glimpses included.

Keywords: The Holy Qur'an - realization - shrewdness - rhetoric - exaggeration

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن القرآن الكريم نزل بلسانٍ عربي مبين، وجاء وفق أساليب العرب في التركيب وطرائقهم البلاغية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥، ولكنه كان في المرتبة العليا من البلاغة والفصاحة؛ حتى وقف فحول العرب وفصحاؤهم أمامه عاجزين مشدوهين.

وإنّ معرفة أساليب القرآن الكريم وما فيها من مفردات وتراكيب بلاغية، تعين على فهم معانيه وتدبر آياته، والوقوف على بلاغة ألفاظه، وفصاحة معانيه، وإعجاز نظمه.

وإن من الأساليب البلاغية التي اشتمل عليها القرآن الكريم: أسلوبي التتميم والإيغال، فهما ضربان من ضروب البلاغة، وفنان طريفان، وقسمان لطيفان من أقسام الإطناب، وفحواهما أن يأتيا بنكات بلاغية لتوضيح المعنى أو توكيده أو إزالة اللبس، وفيهما من المبالغة في الوصف والتصوير ما بلغ أسمى حدود الإعجاز، ويثيران في النفس أسمى آيات الإعجاب.

أسباب اختيار الموضوع:

١- أهمية معرفة أساليب القرآن الكريم؛ لتدبر آياته، والوقوف على بلاغة ألفاظه، وفصاحة معانيه، وإعجاز نظمه.

٢- بيان النكت والأغراض البلاغية لأسلوبي التتميم والإيغال، وأثرهما في المعنى القرآني.

٣- محاولة إبراز جهود العلماء المبذولة في كشف أسرار النظم القرآني، وإعجازه البياني.

أهداف البحث وأسئلته:

يهدف البحث إلى بيان أسلوبي التتميم والإيغال، وأثرهما في معاني القرآن الكريم.

فهو يسعى للإجابة على هذه الأسئلة:

١. ما أسلوب التتميم؟ وما أقسامه؟ وما أغراضه البلاغية؟

٢. ما أسلوب الإيغال؟ وما أقسامه؟ وما أغراضه البلاغية؟

٣. ما الفرق بين أسلوبي التتميم والإيغال؟

٤. ما أثر أسلوبي التتميم والإيغال في المعنى القرآني

الدراسات السابقة: أغلب من كتب في الإطناب وأقسامه من علماء البلاغة؛ تكلم عن أسلوبي التتميم والإيغال، ولكن يبحثونهما باختصار ويكتفون بالأمثلة القليلة، وبعد البحث عن دراسات سابقة مفردة حول هذا الموضوع؛ لم نجد أحدًا أفرد هذين الأسلوبين بالدراسة.

من أجل ذلك رغبنا بدراسة هذين الأسلوبين، وبيان أثرهما في معاني القرآن الكريم.

خطة البحث:

تم تناول موضوع هذا البحث من خلال الخطة الآتية:

مقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وأسئلته، والدراسات السابقة، وخطة البحث ،ومنهجه.

المبحث الأول: التتميم والإيغال.

المطلب الأول: التتميم (تعريفه – أقسامه – أغراضه البلاغية).

المطلب الثاني: الإيغال (تعريفه – أقسامه – أغراضه البلاغية).

المطلب الثالث: الفرق بين التتميم والإيغال.

المبحث الثاني: أثر التتميم والإيغال في معاني القرآن الكريم.

المطلب الأول: أثر التتميم في معاني القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أثر الإيغال في معاني القرآن الكريم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وأخيراً فهرس المصادر والمراجع

منهج البحث:

المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي للآيات القرآنية محل الدراسة والمشتملة على أسلوبي التتميم والإيغال؛ لاستخراج النكات البلاغية وبيان أثرها في المعنى.

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والهدى والرشاد.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد،،،

المبحث الأول

التتميم والإيغال

إن أسلوبي التتميم والإيغال من أنواع الإطناب في البلاغة العربية، وهو: "زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"[(١)]، والإطناب من علم المعاني -أحد الأقطاب الثلاثة لعلم البلاغة-، والإطناب يكون محموداً إذا كانت الزيادة ذات فائدة تُقصد، ويكون معيباً إذا كانت بدون فائدة.

وكل إطنابات القرآن الكريم محمودة وبليغة وفصيحة؛ لأنها ذات معنى وفائدة تُقصد، فلا توجد زيادة في القرآن الكريم بدون فائدة، فقد بلغ في الفصاحة أعلاها، وفي البلاغة أسماها.

وفي هذا المبحث سنتناول -بإذن الله تعالى- أسلوبي التتميم والإيغال من حيث تعريفهما، وبيان أقسامهما، وأغراضهما البلاغية.

وسيكون التناول وفق المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التتميم (تعريفه – أقسامه – أغراضه البلاغية).

المطلب الثاني: الإيغال (تعريفه – أقسامه – أغراضه البلاغية).

المطلب الأول: التتميم (تعريفه - أقسامه - أغراضه البلاغية)

أسلوب التتميم أسلوب بلاغي رائع، يضفي على الكلام حلاوة، بالإضافة إلى أغراضه المفيدة في الكلام وأثره في المعنى.

وسوف نتناول ما يتعلق به من حيث:

١- تعريفه.

٢- أقسامه.

٣- أغراضه البلاغية.

أولاً: تعريف التتميم.

التتميم في اللغة: مأخوذ من مادة: (تمم)، يقال: تمَّ الشّيء يتِمُّ تماماً، إذا كَمَل، والتمام ضد

(١) جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي ص٢٣٦.

النقص[١].

قال ابن فارس: "(تمَّ) التاء والميم أصل واحد منقاس، وهو دليل الكمال، يقال تم الشيء: إذا كمل، وأتممته أنا"[٢].

وفي الاصطلاح: فقد عرّف العلماء التتميم بأنه: أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المراد بفضلة لفائدة[٣].

وعرفه الزركشي بأنه: أن يتم الكلام فيلحق به ما يكمله إما مبالغة أو احترازاً أو احتياطاً[٤].

وعرفه العلوي بأنه: تقييد الكلام بفضلة لقصد المبالغة، أو للصيانة عن احتمال الخطأ، أو لتقويم الوزن[٥].

فخلاصة التعريفات أن التتميم هو: الإتيان بفضلة مفيدة في كلام لا يوهم خلاف المراد.

وقد يكون التتميم في وسط الكلام وقد يكون في آخره[٦].

وسماه ابن أبي الأصبع بالتمام[٧]، ويسميه أبو هلال العسكري بالتتميم وكذلك التكميل[٨]، ويسميه ابن رشيق بالتتميم وكذلك التمام[٩]، ويسميه ابن المعتز: "اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمه"[١٠].

---

(١) انظر مقاييس اللغة لابن فارس، مادة(تم) ٣٣٩/١، المخصص لابن سيده ١٠٤/٤، لسان العرب لابن منظور، مادة (تمم) ٦٧/١٢.

(٢) مقاييس اللغة ٣٣٩/١.

(٣) انظر التلخيص للقزويني ص٧٤، والطراز للعلوي ١٠٥/٣-١٠٦، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٢٢/٣، والتعريفات للجرجاني ص٥١، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص٩٠، والبلاغة العربية للميداني ٨٨/٢، وجواهر البلاغة ص٢٣٣.

(٤) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧٠/٣.

(٥) الطراز١٠٤/٣.

(٦) انظر تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر لابن أبي الإصبع ص٢٤١، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي ٢٨/٢.

(٧) انظر تحرير التحبير ص١٢٧.

(٨) انظر الصناعتين لأبي هلال العسكري ص٣٨٩.

(٩) انظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ٥٠/٢.

(١٠) انظر تحرير التحبير ص١٢٧، خزانة الأدب للحموي ٢٧٢/١.

والفرق بين التتميم والتكميل والاحتراس ما ذكره ابن أبي الإصبع؛ حيث يقول: "الفرق بين الاحتراس والتكميل والتتميم: أن المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه: إما بفن زائد أو بمعنى، والتتميم يأتي ليتمم نقص المعنى ونقص الوزن معاً، والاحتراس لاحتمال دخل على المعنى، وإن كان تاماً كاملاً ووزن الكلام صحيحاً، وقد جعل ابن رشيق الاحتراس نوعاً من التتميم، وسوى بينهما، وقد ظهر الفرق بينهما، فجعلهما في باب واحد غير سائغ"(١).

ثانياً: أقسام التتميم.

يقسم البلاغيون التتميم إلى قسمين(٢):

١- تتميم المعاني.

٢- تتميم الألفاظ.

١) تتميم المعاني:

وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمه، وإذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه(٣).

وتتميم المعاني يأتي على وجهين: للمبالغة والاحتياط(٤).

ومن أمثلة تتميم المعاني للمبالغة:

قال الله تعالى عن موسى -عليه السلام-: {وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} [الأعراف: ١٠٨].

قوله تعالى: {لِلنَّاظِرِينَ} تتميم لتأكيد البياض الشديد ليد موسى -عليه السلام- بعد نزعها من جيبه، معجزة من الله تعالى له يتحدى بها قومه.

قال الزمخشري: "والمعنى: فإذا هي بيضاء للنظارة، ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها بياضاً عجيباً خارجاً عن العادة، يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب"(٥).

---

(١) تحرير التحبير ص٢٤٥.

(٢) انظر تحرير التحبير ص١٢٧، والمصباح في المعاني والبيان والبديع لبدر الدين ابن مالك ص٢١٠، وخزانة الأدب للحموي ٢٧١/١.

(٣) انظر تحرير التحبير ص١٢٧، وخزانة الأدب للحموي ٢٧١/١.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) الكشاف ١٣٨/٢.

وقال ابن عاشور: "قوله: {لِلنَّاظِرِينَ} أي: بياضًا يراه الناظرون رؤية تعجب من بياضها، فالمقصود من ذكر قوله: {لِلنَّاظِرِينَ} تتميم معنى البياض"(١).

ومن أمثلته من الشعر قول زهير بن أبي سلمى في مدح هَرِم بن سِنان:

من يلق يومًا على عِلّاته هرماً يلق السماحة منه والندى خلقاً.

فقوله: (على عِلّاته) أي على كل حال من أحواله، في سروره وحزنه، وفي انشراحه وانقباضه، وفي يسره وعسره، وهو تتميم جميل جيء به للمبالغة في مدحه وسماحته وكرمه وجميل خلقه في جميع حالاته(٢).

ومن أمثلة تتميم المعاني للاحتياط: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ۝٤٢ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ۝٤٣ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ۝٤٤﴾ الواقعة: ٤١ - ٤٤

قوله تعالى: {لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} تتميم احتياط، فبعد أن بيّن الله تعالى مصير أهل النار، وأنهم في رياح ومياه شديدة الحرارة، وكذلك في ظل دخان مُسْودّ، ذكر أنه من صفات هذا الظل أنه لا طيب الهبوب ولا حسن المنظر ولا مفيد؛ لئلا يتوهم متوهم أنه يمكن الاستفادة من هذا الظل بأي شيء.

قال أبو حيان الأندلسي: "{لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ}: صفتان للظل نفيتا، سمي ظلًا -وإن كان ليس كالظلال-، ونفي عنه برد الظل ونفعه لمن يأوي إليه، {وَلَا كَرِيمٍ}: تتميم لنفي صفة المدح فيه، وتمحيق لما يتوهم في الظل من الاسترواح إليه عند شدة الحر، أو نفي لكرامة من يستروح إليه، ونسب إليه مجازا، والمراد هم، أي يستظلون إليه وهم مهانون"(٣).

ومن أمثلته من الشعر قول نافع بن خليفة الغنوي:

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحقُّ منهمُ ويُعطوْهُ عادوا بالسيوفِ القواضبِ

فقوله: (ويعطوه) تتميم للاحتياط، وهو في غاية الحسن، والمعنى بدونه ناقص، فقد يُفهم أن هؤلاء الرجال يلجؤون إلى سيوفهم بمجرد عدم قبول الحق منهم، بينما أراد الشاعر بيان

(١) التحرير والتنوير ٩/٤٠.

(٢) انظر تحرير التحبير ص١٢٨، والطراز ٣/١٠٤، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني ص٢٢٣، والبلاغة العربية ٢/٨٩.

(٣) البحر المحيط ١٠/٨٥.

أنهم يلجؤون إلى سيوفهم إذا لم يُقبل الحق منهم وإذا امتنع العدو عن إعطائهم حقهم[١].

٢) تتميم الألفاظ:

وهو الذي يؤتى به لإقامة الوزن بحيث أنه لو طرحت الكلمة تم الكلام بدونها، ويكون فيها نوع من المحاسن[٢].

فتتميم الألفاظ يأتي على نوعين:

١- لمجرد إقامة الوزن، وليس فيه أي نوع من الحُسن، وهذا النوع يعتبر من العيوب.

٢- لإقامة الوزن ومعها نوع من المحاسن، فيزيد الكلام حسناً وجمالاً وطلاوة، وهذا النوع محمود، وهو محل البحث في كتب البلاغة.

قال ابن أبي الإصبع: "وهي على ضربن أيضاً: كلمة لا يفيد مجيئها إلا إقامة الوزن فقط، وأخرى تفيد مع إقامة الوزن ضرباً من المحاسن، والأولى من العيوب، والثانية من النعوت، وهذا موضع الثانية لا الأولى"[٣].

ومثال ذلك قول المتنبي:

وخفوف قلب لو رأيت لهيبه يا جنتي لظننت فيه جهنما

فإنه جاء بقوله (يا جنتي) لإقامة الوزن، فأفاد تتميم المطابقة، وهو ضرب من المحاسن المشار إليها، والشاعر قصدها دون غيرها مما يسد مسدها ليكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لو كان موضعها غيرها لم تحصل[٤].

ثالثاً: الأغراض البلاغية للتتميم.

لأسلوب التتميم فوائد وأغراض بلاغية، تضفي على المعنى أمراً زائداً وجمالاً، وهذه الأغراض البلاغية هي[٥]:

١. المبالغة والتأكيد:

(١) انظر تحرير التحبير ص١٢٨، وخزانة الأدب للحموي ٢٧٢/١.

(٢) انظر تحرير التحبير ص١٢٨، وخزانة الأدب للحموي ٢٧٢/١.

(٣) تحرير التحبير ص١٢٩.

(٤) انظر تحرير التحبير ص١٢٩، والطراز ١٠٦/٣.

(٥) انظر الطراز ١٠٤/٣، العمدة للقيرواني ٥٠/٢.

وهو أن تكون الفائدة في تلك الفضلة إنما هي المبالغة والتأكيد، وفي أمثلة القرآن الكريم لا يقصد بالمبالغة كما عند الشعراء، وإنما تأكيد المعنى وتقوية أمره، ويكون في هذا النوع زيادة دلالية سواء في التأكيد أو المدح أو الذم ونحوه.

وهذا الغرض هو أهم أغراض التتميم، قال ابن حجة الحموي:"وغاية الغايات في التتميم للمبالغة"[١].

وقال ابن جزي في مقدمة تفسيره في معرض ذكره لأدوات البيان الموجودة في القرآن الكريم، والتي تزين الكلام كما يزين العلم الثوب، وذكر منها التتميم، فقال: "التتميم: وهو أن تزيد في الكلام ما يوضحه ويؤكده وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة"[٢].

وستأتي أمثلة له في المبحث الثاني -بإذن الله-.

٢. الاحتياط والصيانة عن احتمال الخطأ:

وهي أن تأتي الفضلة لتصون المعنى عن الفهم الخاطئ، فتزيل المعنى غير المراد من اللفظ الذي قد يتوهمه السامع، ويكون في هذا النوع نقص دلالي، فيزيل من اللفظ معنى منه قد يفهمه السامع لو ترك اللفظ على إطلاقه.

وستأتي أمثلة له في المبحث الثاني -بإذن الله-.

٣. تقويم الوزن في الشعر:

وهي أن تأتي الفضلة من أجل تقويم الوزن في البيت الشعري غير الموزون، ولا يحتاج إليها لا في المبالغة ولا في الاحتراز، وهذه اللفظة قد تكون مجردة من المحاسن، وقد تكون مشتملة عليها فتضفي على البيت الشعري جمالاً وطلاوة.

وهذا الغرض خاص بالشعر ولا يوجد منه في القرآن الكريم؛ فالقرآن الكريم يختلف عن الشعر فهو ليس بكلام موزون ومقفى.

(١) خزانة الأدب للحموي ٢٧٢/١.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ٢٥/١.

المطلب الثاني: الإيغال (تعريفه -أقسامه - أغراضه البلاغية)

أسلوب الإيغال أسلوب بلاغي رائع، يضفي على الكلام حلاوة من خلال مراعاة الفاصلة القرآنية، بالإضافة إلى أغراضه المفيدة في الكلام وأثره في المعنى.

وسوف نتناول ما يتعلق به من حيث:

١- تعريفه.

٢- أقسامه.

٣- أغراضه البلاغية.

أولاً: تعريف الإيغال.

الإيغال في اللّغة:

الإمعان والمبالغة في الابتعاد، يقال: أوْغَلَ القومُ إذا أمْعَنوا في سيرهم، وأوغلَ في الأرض إذا أبعد فيها، وكل داخل في شيء دخولَ مستعجلٍ فقد أوغلَ فيه.

ويقال أوغل المتكلم إذا أتم المعنى الذي هو آخذ فيه ثم تعداه بزيادة فيه، ويقال أوغل في الأرض الفلانية إذا بلغ منتهاها[١].

والإيغال في الاصطلاح: هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها[٢].

قال الإمام السيوطي في منظومته عقود الجمان في علم المعاني والبيان[٣]:

ومنه إيغالُ كلامٍ قد ختم بما يفيدُ ما بدونهِ يتم

وقد عرّفه أبو هلال العسكري بقوله: "هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم يأتي بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً"[٤].

---

(١) انظر مقاييس اللغة ١٢٧/٦، جمهرة اللغة لابن دريد ٤١/٢، وتهذيب اللغة للأزهري ١٠١/٣، ولسان العرب ٧٣١/١١.

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢٢٠/٣، وجواهر البلاغة ص٢٣١، وانظر الصناعتين ص٣٨٠، والإيضاح ص٢١٦، والتعريفات ص٤١، والبلاغة العربية ٧٦/٢، والمعاني في ضوء أساليب القرآن د. عبدالفتاح لاشين ص٢٦١.

(٣) ص٧١.

(٤) الصناعتين ص٣٨٠.

فهو بمثابة التتمة لكلام سبقه.

والإيغال لا يقع إلا في الفواصل والمقاطع[١]، ويسميه بعض العلماء بالتبليغ، والأول أشهر[٢].

ثانياً: أقسام الإيغال.

يقسم ابن أبي الإصبع في كتابه: "تحرير التحبير"[٣] الإيغالَ إلى قسمين، وهما:

١- إيغال مبالغة.

٢- إيغال احتياط.

وبيانهما كالآتي:

١) إيغال المبالغة:

وهو ختم الكلام بما يفيد المبالغة والتأكيد، وفي أمثلة القرآن الكريم لا يقصد بالمبالغة كما عند الشعراء، وإنما تأكيد المعنى وتقوية أمره، ويكون في هذا النوع زيادة دلالية سواء في التأكيد أو المدح أو الذم ونحوه.

ومنه قول الخنساء في رثاء أخيها صَخْر:

وَإِنّ صَـــخْـراً لـتـأتَـمُّ الْـهُـدَاةُ بـه كَـأنَّــهُ عَـلَـمٌ في رأْسِـــهِ نـارُ

لقد تمّ المقصود الخنساء في مدح أخيها بقولها: "كأنّه علم" يعني جبل عظيم، ولمّا احتاجت إلى القافية أضافت خاتمة مفيدة ذات حُسْن فقالت: "في رأْسِهِ نارُ" فبالغت في بيان أنّه رجلٌ تَأْتَمُّ بِهِ الْهُداة، وأتت بمعنى زائد على معنى الكلام مبالغة في الظهور والوضوح[٤].

قال ابن المنير: "لما شبهته في الاهتداء به بالعلم المرتفع، أتبعت ذلك بما يناسبه ويحققه، فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى أضافت إلى ذلك ظهوراً آخر باشتعال النار في رأسه"[٥].

٢) إيغال الاحتياط:

---

(١) انظر الصناعتين ص٣٨٠، وتحرير التحبير ص٢٤١، وخزانة الأدب للحموي ٢٧/٢.

(٢) انظر العمدة للقيرواني ٥٧/٢.

(٣) انظر تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ص٢٣٤-٢٣٦

(٤) انظر العمدة للقيرواني ٥٨/٢، وتحرير التحبير ص٢٣٤، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص لعبد الرحيم العباسي ٣٤٧/١، والبلاغة العربية ٧٧/٢.

(٥) الانتصاف من الكشاف ٧٠/١.

وهو ختم الكلام بما يفيد الاحتياط من الدَّخَل دون الإتيان بمعنى زائد[١].

وقد يسمى أيضاً بإيغال التخيير؛ لأن المتكلم يتخير من القوافي التي تفيد الإيغال قافية تفيد مقصوده من غير معارضة[٢].

وذكر ابن أبي الإصبع مثالاً على هذا النوع من الإيغال: وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي:

فأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

وقال: "فإنه أعطى بني عمه حقهم من الشرف، واعترف لهم من فضل الأبوين بما اعترف، ثم فطن إلى أنه إن اقتصر على ذلك فضلهم على بنته، فتحيل على المساواة، إذ لا طريق له إلى التفضيل بأن قال: (ونحن بنو عمه المسلم)، فجعل هذا الفضيلة قبالة تلك، وهي موفية بمقصوده من غير معارضة، فإنه لو قال: (بنو عمه الأفضل) لكونه مسلماً لعورض بحمزة -رضي الله عنه-، وهو إيغال الاحتياط، لكونه تتميماً للمعنى"[٣].

وفي القرآن الكريم قد يكون الإيغال للمبالغة والتأكيد مع مراعاة الفاصلة القرآنية، وقد يجمع بين الاحتياط مع المبالغة والتأكيد، فلا يوجد في القرآن الكريم زيادة مبنى دون زيادة معنى.

ومن أمثلة الإيغال في القرآن الكريم: قول الله تبارك وتعالى: {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} [النمل: ٨٠].

في هذه الآية الكريمة يشبه الله تعالى الذين لا يعقلون ولا يستجيبون للحق بالموتى وإن كانوا أحياء، وكذلك بالصم فاقدي السمع وإن كانوا صحيحي الحواس، وبيّن لرسوله -صلى الله عليه وسلم بأنهم لا يسمعون إذا رجعوا معرضين عنه -صلى الله عليه وسلم- وعن دعوته؛ لأن على قلوبهم غشاوة، وفي آذانهم وقر الكفر.

وقوله تعالى: {إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} إيغال جمع بين نوعيه المبالغة والاحتياط، فقد تم المعنى

(١) انظر تحرير التحبير ص٢٣٤.

(٢) انظر تحرير التحبير ص٢٣٦.

(٣) المصدر السابق بتصرف يسير.

بدونه.

ويبّن ابن عادل الحنبلي وجه إيغال المبالغة والتأكيد في هذه الآية فيقول: "فإن قيل: ما معنى قوله: {وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} وإذا كانوا صمًّا لا يسمعون سواء ولوا أو لم يولوا؟ قيل: ذكره تأكيدًا ومبالغة، وقيل: الأصم إذا كان حاضرًا قد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة، فإذا ولى مدبرًا لم يسمع ولم يفهم"(١).

وقال ابن عاشور: "تقييد الصم بزمان توليهم مدبرين؛ لأن تلك الحالة أوغل في انتفاء إسماعهم؛ لأن الأصم إذا كان مواجهًا للمتكلم قد يسمع بعض الكلام بالصراخ ويستفيد بقيته بحركة الشفتين، فأما إذا ولى مدبرًا فقد ابتعد عن الصوت ولم يلاحظ حركة الشفتين؛ فذلك أبعد له عن السمع"(٢).

ويبيّن ابن أبي الإصبع وجه إيغال الاحتياط في هذه الآية بالإضافة إلى إيغال المبالغة؛ فيقول: "فإن قيل: فما معنى: {مُدْبِرِينَ} وقد أغنى عنها قوله: {إِذَا وَلَّوْا}؟ قلت: لا يغني عنها قوله: {وَلَّوْا}؛ فإن التولي قد يكون بجانب دون جانب، فيجوز أن يلحظ بالجانب الذي لم يتول به، فيحصل له إدراك لبعض الإشارة، فجعل الفاصلة {مُدْبِرِينَ} ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب، بحيث صار ما كان مستقبلاً مستدبراً، فاحتجب المخاطب عن المخاطب، إذ صار من ورائه، فخفيت عن عينيه الإشارة، كما صم أذناه عن العبارة، فحصلت المبالغة في عدم الإسماع بالكلية، وهذا الكلام وإن بولغ فيه بنفي الإسماع بتة، فهو من إيغال الاحتياط الذي أدمجت فيه المبالغة في نفي الإسماع"(٣).

ثالثاً: الأغراض البلاغية للإيغال.

لأسلوب الإيغال فوائد وأغراض بلاغية، تضفي على المعنى أمراً زائداً وجمالاً، ومن أهم

(١) اللباب في علوم الكتاب ١٩٩/١٥، و انظر الكشـاف للزمخشـري ٣٨٣/٣، وإرشـاد العقل السـليم لأبي السعود ٣٠٠/٦، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ١٠٧/٢.

(٢) التحرير والتنوير ٣٥/٢٠.

(٣) تحرير التحبير ص٢٣٤ بتصرف.

هذه الأغراض البلاغية[١]:

١. المبالغة والتأكيد وتوضيح المعنى: وفي أمثلة القرآن الكريم لا يقصد بالمبالغة كما عند الشعراء، وإنما تأكيد المعنى وتوضيحه وتقوية أمره، ويكون في هذا النوع زيادة دلالية سواء في التأكيد أو المدح أو الذم ونحوه.

٢. التشبيه.

٣. إتمام القافية في الشعر أو تناظر الفقرات في النثر بما يفيد مضمون الكلام من غير معارضة.

وغالب ما يأتي لغرض المبالغة والتشبيه، قال ابن أبي الإصبع: "وأكثر ما يتضمن الإيغال: التشبيه والمبالغة، حتى لو قيل: إنه لا يتعدى هذين الضربين لكان حقاً"[٢].

وفي القرآن الكريم يأتي أسلوب الإيغال للتأكيد وتوضيح المعنى، وبنفس الوقت يراعي الفاصلة القرآنية مما يضفي جمالاً صوتياً للآيات القرآنية.

وستأتي أمثلة له في المبحث الثاني -بإذن الله-.

(١) انظر تحرير التحبير ص٢٤١، والإيضاح ص٢١٦، والبلاغة العربية ٧٦/٢، والمعاني في ضوء أساليب القرآني ص٢٦١.

(٢) تحرير التحبير ص٢٤١.

المطلب الثالث: الفرق بين التتميم والإيغال

يذكر البلاغيون ثلاثة فروق بين التتميم والإيغال، وهي[1]:

أحدهما: أن التتميم يرد على معنى ناقص فيتمه، والإيغال لا يرد إلا على المعنى التام فيزيده كمالاً ويفيد فيه معنى زائداً.

مثاله قول الله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}، المعنى بدون {وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} ناقصاً، فلما جاءت الفاصلة تم المعنى، وقوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس: ٢٠-٢١]، قوله تعالى: {وَهُمْ مُهْتَدُونَ} إيغال، وقد تم المعنى بدونه، ولكنه زاده كمالاً ومعنى بحثهم وترغيبهم على اتباع الرسل لأنهم مهتدون.

والثاني: التتميم يأتي في وسط الكلام وفي آخره، بينما الإيغال لا يكون إلا في آخر الكلام مراعاة لاشتقاقه، لأن الموغل في الأرض هو الذي قد بلغ أقصاها أو قارب بلوغه.

والثالث: أن التتميم قد يتضمن معنى من معاني البديع وقد لا يتضمن، أما الإيغال فلا بد وأن يتضمن معنى من معاني البديع، وأكثر ما يتضمن الإيغال التشبيه والمبالغة، حتى لو قيل: إنه لا يتعدى هذين الضربين لكان حقاً، والتتميم يتضمن طوراً المبالغة، ويتضمن حيناً الاحتياط، ويأتي مرة غير متضمن شيئاً سوى تتميم ذلك المعنى.

(١) انظر تحرير التحبير ص٢٤١، وخزانة الأدب للحموي ٢/٢٨.

المبحث الثاني

أثر التتميم والإيغال في معاني القرآن الكريم

لأسلوبي التتميم والإيغال آثار بلاغية لطيفة في معاني القرآن الكريم، وسوف نبيّن هذه الآثار في معاني الآيات القرآنية الكريمة، ونستعرض عناية المفسرين وجهودهم في هذا الموضوع من خلال المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: أثر التتميم في معاني القرآن الكريم

لأسلوب التتميم أثر بلاغي رائع في المعنى القرآني، فهو يأتي لفائدتين بلاغيتين عظيمتين في المعنى؛ الأولى: المبالغة والتأكيد، والثانية: الاحتياط والصيانة عن احتمال الخطأ.

وسنسلط الضوء على هذين الغرضين بدراسة ثلاثة أمثلة من كل منهما.

أولاً: تتميم المبالغة والتأكيد.

من أمثلة هذا النوع من التتميم في القرآن الكريم:

١- قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} الآية [البقرة: ١٧٧].

في هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى أن الخير كل الخير في من آمن بالله تعالى، واليوم الآخر، والملائكة الكرام، وجميع الكتب السماوية، وجميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، وأنفق المال -مع حبه له وحرصه عليه- على أقربائه واليتامى والمساكين والغريب الذي انقطع في السفر والذي يسأل المال لحاجته وكذلك في عتق الرقاب.

وقوله تعالى: {عَلَى حُبِّهِ}: أي على حب المال، وهو تتميم للمبالغة في بيان حرصهم على إنفاق المال على الرغم من حبهم وحاجتهم له، فبذل الإنسان من الشئ الذي يحبه أدعى لزيادة الأجر[(١)].

ولو حذفت هذه اللفظة {عَلَى حُبِّهِ} لاستقام المعنى العام، ولكن بدون إعطاء هذا المعنى

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٤٢/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل ١٠٨/١، وروح المعاني للألوسي ١٧١/١٥، والبرهان في علوم القرآن ٧٠/٣، والإتقان في علوم القرآن ٩٠/٢.

العظيم الزائد في المبالغة في المدح، وبيان إنفاقهم وإيثارهم لغيرهم من المحتاجين رغم حبهم للمال وحاجتهم له.

قال أبو حيان الأندلسي: "{على حبه} متعلق بـ{آتى}، وهو حال، والمعنى: أنه يعطي المال محباً له، أي: في حال محبته للمال واختياره وإيثاره، وهذا وصف عظيم، أن تكون نفس الإنسان متعلقة بشيء تعلق المحب بمحبوبه، ثم يؤثر به غيره ابتغاء وجه الله، كما جاء: (أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى)[1]، والظاهر أن الضمير في {حبه} عائد على المال؛ لأنه أقرب مذكور، ومن قواعد النحويين أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل"[2].

ويصرح ابن جزي الكلبي على أسلوب التتميم في الآية الكريمة فيقول: "{عَلى حُبِّهِ} الضمير للطعام؛ أي يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله: {لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢]، وقوله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ} [الحشر: ٩]، ففي قوله: {عَلى حُبِّهِ} تتميم، وهو من أدوات البيان"[3].

ونجد أن ابن عاشور يذكر الأثر البلاغي لهذا الأسلوب في الآية دون أن يصرح باسمه، فيقول: "والضمير للمال لا محالة والمراد أنه يعطي المال مع حبه للمال وعدم زهادته فيه فيدل على أنه إنما يعطيه مرضاة لله تعالى ولذلك كان فعله هذا براً"[4].

ومثله قوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} [الإنسان: ٨]، وقوله تعالى: {لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] فقوله: {عَلَى حُبِّهِ} وقوله: {مِمَّا

(١) أخرجه البخاري (١٤١٩)، ومسلم (١٠٣٢) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أن تصدَّق و أنت صحيح شحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تُمهِل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان).

(٢) البحر المحيط ١٣٥/٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ٤٣٧/٢.

(٤) التحرير والتنوير ١٣٠/٢.

تُحِبُّونَ} تتميم[١].

قال الآلوسي: "{وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ} أي كائنين على حب الطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه، فهو من باب التتميم، ويجاوبه من القرآن قوله تعالى: {لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢]"[٢].

وقال ابن عاشور: "والتصريح بلفظ الطعام مع أنه معلوم من فعل {وَيُطْعِمُونَ} توطئة ليبنى عليه الحال، وهو {عَلَى حُبِّهِ}، فإنه لو قيل: (ويطعمون مسكيناً ويتيماً وأسيراً) لفات ما في قوله: {عَلَى حُبِّهِ} من معنى إيثار المحاويج على النفس"[٣].

٢- قال الله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} [النساء: ٨٧].

في هذه الآية الكريمة يقرر الله تعالى وحدانيته واستحقاقه وحده للعبادة دون ما سواه، ويؤكد على موضوع بعث الناس للحساب يوم القيامة وأنه لا شك في ذلك، وأنه لا أحد أصدق حديثاً من الله تعالى.

وفي ختام الآية قوله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} تتميم بديع من باب تتميم المبالغة لتأكيد أنه تعالى أصدق القائلين، فلا أحد أصدق حديثاً منه، فقوله حق وصدق، والكذب محال عليه؛ لأنها صفة نقص، والله تعالى منزه عن كل نقص، فعلة الكذب عند البشر إما الخوف أو الرجاء أو سوء الخلق، وكلها منفية في حق الله تعالى.

ومعنى الآية يستقيم بدون قوله: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}، ولكن جيء به للتأكيد.

قال ابن عطية: "{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}" ظاهره الاستفهام ومعناه تقرير الخبر، تقديره: لا أحد أصدق من الله تعالى؛ لأن دخول الكذب في حديث البشر إنما علته الخوف والرجاء أو سوء السجية، وهذه منفية في حق الله تعالى وتقدست أسماؤه، والصدق في حقيقته أن

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٤٢/٢، والتسهيل لعلوم التنزيل ٤٣٧/٢، وروح المعاني ١٧١/١٥، والبرهان في علوم القرآن ٧٠/٣، والإتقان في علوم القرآن ٩٠/٢.

(٢) روح المعاني ١٧١/١٥.

(٣) التحرير والتنوير ٣٨٤/٢٩.

يكون ما يجري على لسان المخبر موافقا لما في قلبه، وللأمر المخبر عنه في وجوده"[١].

ويصرح أبو حيان بأسلوب التتميم في هذه الآية، فيقول في معرض تفسيره للآيات:

"وتضمنت هذه الآيات من البلاغة والبيان والبديع أنواعاً. التتميم في: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا}"[٢].

ومثله قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} [النساء: ١٢٢].

فقوله تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}، تتميم من باب تتميم المبالغة لتأكيد أنه تعالى أصدق القائلين، فلا أحد أصدق قولاً منه تعالى.

قال الزمخشري: "{وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا} مصدران: الأول مؤكد لنفسه، والثاني مؤكد لغيره، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}: توكيد ثالث بليغ، فإن قلتَ: ما فائدة هذه التوكيدات؟ قلتُ: معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لأوليائه؛ ترغيباً للعباد في إيثار ما يستحقون به تنجّز وعد الله"[٣].

وقال الألوسي: "{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا} تذييل للكلام السابق مؤكد له، ولا يخفى ما في الاستفهام وتخصيص اسم الذات الجليل الجامع وبناء أفعل وإيقاع القول تمييزاً من المبالغة، والمقصود معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه التي غرتهم حتى استحقوا الوعيد؛ بوعد الله تعالى الصادق لأوليائه الذي أوصلهم إلى السعادة العظمى، ولذا بالغ سبحانه فيه وأكده حثًّا على تحصيله وترغيبًا فيه"[٤].

٣- قال الله تعالى: {يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ١٦].

في هذه الآية الكريمة يبيّن الله تعالى أن من جملة وصايا لقمان لابنه وهو يعظه بيان سعة

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٨٨.

(٢) البحر المحيط ٤/٢٩.

(٣) الكشـــاف ١/٥٦٧، و انظر أنوار التنزيل للبيضـــاوي ٢/٩٩، ومدارك التنزيل للنســـفي ١/٣٩٨، والبحر المحيط لأبي حيان ٤/٧٤، وإرشاد العقل السليم ٢/٢٣٥، والتحرير والتنوير ٥/٢٠٧.

(٤) روح المعاني ٣/١٤٥.

علم الله تعالى وأنه لا يغيب عنه شيء، ولو كانت الحسنة أو السيئة صغيرة جدًّا مثل وزن حبة الخردل وكانت هذه الحبة في جوف صخرة لا يطلع عليها أحد، أو كانت في مكان في السماوات الفسيحة أو في الأرض الوسيعة، فإن الله يأتي بها يوم القيامة، ويجازي العبد عليها، فإنه تعالى لطيف لا تخفى عليه دقائق الأمور، خبير بحقائقها وأحوالها.

وقوله تعالى: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} تتميم بديع جيء به للمبالغة والتأكيد في بيان سعة علم الله تعالى لكل شيء ودقته وشموله، وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء مهما دق وصغر، فالتمثيل بكون حبة الخردل في صخرة داخل في قوله تعالى:{أَوْ فِي الْأَرْضِ}، فالصخور تكون في الأرض فيشمله المعنى، ولكن جيء به {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} للمبالغة والتأكيد على سعة علم الله تعالى لكل شيء، ولو كان في غاية الصغر كحبة الخردل، في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة، والمعنى يستقيم بدون قوله تعالى: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ}، ولكن لا يعطي هذه المبالغة في بيان هذا الأمر.

قال ابن عطية: "معنى الكلام المبالغة والانتهاء في التفهيم، أي أن قدرته تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما يكون في السماء وفي الأرض"(١).

وقال القاسمي: " أي: فتكن مع كونها في أقصى غايات الصغر، في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة، أو حيث كانت في العالم العلويّ أو السفليّ، {يَأْتِ بِهَا اللَّهُ} أي: يحضرها ويحاسب عليها، {إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ} أي: ينفذ علمه وقدرته في كل شيء، {خَبِيرٌ} أي: يعلم كنه الأشياء فلا يعسر عليه، وقوله تعالى: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} الآية، من البديع الذي يسمى التتميم، فإنه تمم خفاءها في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة "(٢).

قال الفخر الرازي مبيناً الإبداع التصويري في بيان سعة علم الله تعالى وقدرته: "خفاء الشيء يكون بطرق: منها أن يكون في غاية الصغر، ومنها أن يكون بعيدًا، ومنها أن يكون في ظلمة، ومنها أن يكون من وراء حجاب، فإن انتفت الأمور بأسرها بأن يكون كبيرًا قريبًا في ضوء من غير حجاب فلا يخفى في العادة، فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط فقوله: {إِنَّهَا إِنْ

(١) المحرر الوجيز ٤/٣٥٠.

(٢) محاسن التأويل ٨/٣٠-٣١، بتصرف يسير، وانظر الكشاف ٣/٤٩٦، وإرشاد العقل السليم ٧/٧٢.

تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ} إشارة إلى الصغر، وقوله: {فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ} إشارة إلى الحجاب، وقوله: {أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ} إشارة إلى العبد؛ فإنها أبعد الأبعاد، وقوله: {أَوْ فِي الْأَرْضِ} إشارة إلى الظلمات؛ فإن جوف الأرض أظلم الأماكن"[1].

ثانياً: تتميم الاحتياط:

ومن أمثلة هذا النوع من التتميم في القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} [الإسراء: ١].

في هذه الآية الكريمة ينزه الله تعالى نفسه عن النقائص لكمال عظمته وقدرته، فهو الذي بقدرته أسرى بعبده محمد -صلى الله عليه وسلم- من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس في جزء من ليلة واحدة، وهي الرحلة التي تستغرق عادة أربعين يوماً.

والإسراء لا يكون إلاَّ باللَّيْل، فالمعنى بدون كلمة {ليلاً} مقبول: (سبحان الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)، ولكنه غير تام كما أراده الله تعالى، فقد يتوهم متوهم أن الإسراء استغرق أوقاتاً طويلة أو ليالي عديدة، ولذلك جاءت كلمة: {ليلاً} في الآية الكريمة لدفع هذا التوهم من باب التتميم للاحتياط؛ وذلك للإشارة إلى قصر المدة التي حصل فيها الإسراء ذهاباً وعودة، والإشارة إلى أنّ لِلّيْلِ خصائص من نفحاتِ الله وإكراماته التي يفيض بها على بعض عباده[2].

قال الزمخشري: "الإسراء لا يكون إلا بالليل، فما معنى ذكر الليل؟ قلت: أراد بقوله {لَيْلًا} بلفظ التنكير: تقليل مدّة الإسراء، وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة، وذلك أنّ التنكير فيه قد دلّ على معنى البعضية. ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة: (من الليل)، أى: بعض الليل"[3].

---

(١) مفاتيح الغيب ١٢١/٢٥.

(٢) انظر البلاغة العربية ٨٩/٢.

(٣) الكشـــاف ٦٤٦/٢، وانظر مفاتيح الغيب ٢٩٢/٢٠، وأنوار التنزيل ٢٤٧/٣، ومدارك التنزيل ٢٤٤/٢، وإرشاد العقل السليم ١٥٤/٥، وأضواء البيان للشنقيطي ٨/٣.

وذكر أبو زهرة ملحظاً لطيفاً بعد أن قرّر أن هذا التتميم أفاد البعضية، فقال: "{ليلاً} للإشارة إلى أنه حين يكون السير ليس سهلاً، إذ أن الانتقال إلى مكان بعيد لَا يكون ليلاً، بل يكون نهاراً، ولا يكون بعض الليل، بل يكون بعض النهار، فذكر {ليلاً} للدلالة على موضع الغرابة؛ أنه كان بأقصى السرعة، وكان ليلاً"(١).

وذكر الألوسي فائدة أخرى في هذا التتميم وتنكيره؛ فقال: "فالصواب أن تنكيره لدفع توهم أن الإسراء كان في ليال، أو لإفادة تعظيمه كما هو المناسب للسياق والسباق، أي: ليلاً أيَّ ليل دنا فيه المحب إلى المحبوب وفاز في مقام الشهود بالمطلوب"(٢).

٢- قال الله تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: ١٢٤].

في هذه الآية الكريمة يقرر الله تعالى أن من يعمل الأعمال الصالحة من المؤمنين سواء كان من الرجال أو النساء فإنهم يدخلون الجنة، ولا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً ولو كان بقدر النقرة التي تكون في ظهر نواة التمر.

وفي هذه الآية مثالان للتتميم؛ الأول: قوله تعالى: {مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى}، والثاني: قوله تعالى: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ}(٣).

وهما "في غاية البلاغة التي بذكرها تم معنى الكلام، وجرى على الصحة، ولو حذفت هاتان الجملتان نقص معناه، واختل من حسن البيان"(٤).

قوله تعالى: {مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى}، تتميم لتأكيد العموم الذي تفيده {مِنْ} الموصوله، فالحكم يعم الجنسين جميعاً الذكور والإناث، وكذلك لتوبيخ المشركين في إهلاكهم إناثهم، وحرمانهن من حقوقهن كالميراث وغيره.

وقال الألوسي: "ولعل تبيين العامل بالذكر والأنثى لتوبيخ المشركين في إهلاكهم إناثهم،

(١) زهرة التفاسير ٨/٤٣١٨.

(٢) روح المعاني ٨/٦.

(٣) انظر تحرير التحبير ص١٢٧.

(٤) المصدر السابق.

وجعلهن محرومات من الميراث"[١].

وقال ابن عاشور: "ووجه قوله: {مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى} قصد التعميم، والرد على من يحرم المرأة حظوظًا كثيرة من الخير من أهل الجاهلية أو من أهل الكتاب، و{مِنْ} لبيان الإبهام الذي في {وَمَنْ} الشرطية في قوله: {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ}"[٢].

وقوله تعالى في الآية: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} تتميم للاحتياط في غاية الحسن والروعة، فإن الآية التي قبلها عمت الجميع: أهل الإيمان وأهل الكفر، قال تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [النساء: ١٢٣]، ولذلك قد يتوهم أن الوعد بالجنة لمن يعمل من الصالحات أيضاً يعم الجميع: أهل الإيمان وأهل الكفر؛ ولذلك جاء القيد: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} لنفي توهم دخول من يعمل الصالحات من أهل الكفر في هذا الوعد الإلهي العظيم بدخول الجنة، وقصره على أهل الإيمان، فالإيمان شرط لقبول الأعمال الصالحة.

ويؤيد هذا ما جاء في سبب نزول الآية؛ فقد قال مسروق: "لما نزلت هذه الآية: ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به قالت اليهود: نحن وأنتم سواء حتى أنزل الله تعالى: ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن قال: ففلجوا عليهم"[٣].

قال القرطبي: "قول الحق:"{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ}، هذا عندهم يسمى التتميم، وهو نوع من البلاغة، ويسمى أيضا الاحتراس والاحتياط، فتمم بقوله: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ}"[٤].

وفي موضع آخر يبين الأثر البلاغي لهذا الأسلوب دون أن يسميه: "شرط الإيمان لأن المشركين أدلوا بخدمة الكعبة وإطعام الحجيج وقري الأضياف، وأهل الكتاب بسبقهم،

(١) روح المعاني٣/١٤٧.

(٢) التحرير والتنوير٥/٢١٠.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٤/١٠٧٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٤٢ بتصرف يسير.

وقولهم نحن أبناء الله وأحباؤه، فبيّن تعالى أن الأعمال الحسنة لا تقبل من غير إيمان"[١].

وقال الألوسي: "قوله تعالى: {وَهُوَ مُؤْمِنٌ} حال أيضاً، وفي اشتراط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب الذي تضمنه ما يأتي تنبيه على أنه لا اعتداد به دونه، وفيه دفع توهم أن العمل الصالح ينفع الكافر حيث قرن بذكر العمل السوء المضر للمؤمن والكافر"[٢].

وقال السعدي: "{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ} دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية، ودخل أيضا كل عامل من إنس أو جن، صغير أو كبير، ذكر أو أنثى. ولهذا قال: {مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} وهذا شرط لجميع الأعمال، لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها الثواب ولا يندفع بها العقاب إلا بالإيمان، فالأعمال بدون الإيمان كأغصان شجرة قطع أصلها وكبناء بني على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به"[٣].

٣- قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٦].

لما ذم الله تعالى المنافقين بقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥]، بيّن أيضاً أن من أوصافهم: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} أي إذا قيل لذلك المفسد على سبيل النصح: اتق الله؛ منعه الكبر والأنفة عن قبول الحق، وتمادى في الباطل والإثم، فتوعّده الله تعالى بالعذاب الأليم في جهنم يوم القيامة ولبئس مستقره ومآله.

وفي قوله تعالى: {بِالْإِثْمِ} تتميم بلاغي بديع للاحتياط ونفي التوهم؛ لأن من العزة ما هي محمودة ومنها ما هي مذمومة، فالمحمودة ما كانت في طاعة الله مثل قول الله تعالى: {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٣٩]، وقوله تعالى: {أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين} [المائدة: ٥٤]، قوله تعالى:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٩٩/٥، وانظر جامع البيان للطبري ٢٤٨/٩، البحر المحيط ٧٦/٤، والتسهيل لعلوم التنزيل ٢١١/١، وإرشاد العقل السليم ٢٣٦/٢.

(٢) روح المعاني ١٤٧/٣، وانظر أنوار التنزيل ٩٩/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٢١١.

{وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨]، فجيء بقوله تعالى: {بِالْإِثْمِ} لإفادة أن المراد بالعزة هنا هي العزة المذمومة: العزة بالإثم والمعصية.

قال أبو حيان الأندلسي: "وفي قوله: {أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ} نوع من البديع يسمى التتميم، وهو إرداف الكلام بكلمة ترفع عنه اللبس، وتقربه للفهم، وذلك أن العزة محمودة ومذمومة، فالمحمودة طاعة الله، كما قال: {أَعِزَّةٍ عَلَى الكافرين} [المائدة: ٥٤]، {وَلِلَّهِ العزة وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون: ٨]، {فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٣٩]، فلما قال: {بِالْإِثْمِ} اتضح المعنى وتم، وتبين أنها العزة المذمومة المؤثم صاحبها"(١).

وقال السمين الحلبي: "فلو أُطْلِقَتْ لتوهّم فيها بعض من لا عنايةَ له: المحمودة؛ فقيل: {بِالْإِثْمِ} تتميماً للمراد، فَرُفِعَ اللَّبْسُ بها"(٢).

(١) البحر المحيط لأبي حيان ٣٣٢/٢، وانظر اللباب في علوم الكتاب لابن عادل٤٦٥/٣، والتحرير والتنوير ٢٧١/٢.

(٢) الدر المصون ٧٥٤/١.

المطلب الثاني: أثر الإيغال في معاني القرآن الكريم

لأسلوب الإيغال أثر بلاغي رائع في المعنى القرآني، فهو يأتي لفائدة بلاغية عظيمة في المعنى، وهي المبالغة في توضيح المعنى وتأكيده.

وقد زعم البعض أنه لا يقع إلا في الشعر، قال السيوطي: "وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر، ورُدَّ بأنه وقع في القرآن "[١].

وسنسلط الضوء على هذا الغرض البلاغي لأسلوب الإيغال بدراسة ثلاثة أمثلة منه في القرآن الكريم، ومن أمثلته في القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس: ٢٠-٢١].

في هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى في قصة أصحاب القرية أنه جاء رجل مؤمن مسرع من مكان بعيد من القرية يحث قومه على اتباع المرسلين والإيمان بهم، ويبيّن أنهم لا يطلبون منهم شيئاً على إبلاغهم دعوة ربهم، وأنهم مهتدون فيما يبلغونه عن الله تعالى.

فقوله: {وَهُمْ مُهْتَدُونَ} إيغال؛ لأن الكلام يتم بدونه، والرسول مهتد لا محالة، ولكن جيء به لفائدة عظيمة وهي زيادة المبالغة في الحث على اتباع الرسل والاقتداء بهم، والترغيب في ذلك؛ لأنهم مهتدون إلى الحق.

قال إسماعيل حقي: " ومن قال: الإيغال هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها؛ تكون الآية عنده مثالاً له؛ لأن قوله: {وَهُمْ مُهْتَدُونَ} مما يتم المعنى بدونه؛ لأن الرسول مهتد لا محالة إلا أن فيه زيادة حث على اتباع الرسل وترغيب فيه"[٢].

ويؤكد ابن عاشور هذا الأمر ويوضحه فيقول: "{وَهُمْ مُهْتَدُونَ} أي: وهم متصفون بالاهتداء إلى ما يأتي بالسعادة الأبدية، وهم إنما يدعونكم إلى أن تسيروا سيرتهم، فإذا كانوا هم مهتدين فإن ما يدعونكم إليه من الاقتداء بهم دعوة إلى الهدى، فتضمنت هذه الجملة بموقعها بعد التي قبلها ثناء على المرسلين، وعلى ما يدعون إليه، وترغيبا في متابعتهم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢٤٩/٣.

(٢) روح البيان ٣٨٤/٧، وانظر روح المعاني ٣٩٨/١١.

واعلم أن هذه الآية قد مثل بها القزويني في الإيضاح والتلخيص للإطناب المسمى بالإيغال وهو أن يوتى بعد تمام المعنى المقصود بكلام آخر يتم المعنى بدونه لنكتة، وقد تبين لك مما فسرنا به أن قوله: {وَهُمْ مُهْتَدُونَ} لم يكن مجرد زيادة، بل كان لتوقف الموعظة عليها، وكان قوله: {مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا} كالتوطئة له"(١).

وكثير من المفسرين يذكرون فائدة هذا الأسلوب البلاغي دون أن يشيروا إليه؛ قال البقاعي: "{وَهُمْ مُهْتَدُونَ} أي: ثابت لهم الاهتداء لا يزايلهم، ما قصدوا شيئاً إلا أصابوا وجه صوابه، فتفوزوا بالدين الموجب للفوز بالآخرة، ولا يفوتكم شيء من الدنيا، فأتى بمجامع الترغيب في هذا الكلام الوجيز"(٢).

وقال القاسمي: " {وَهُمْ مُهْتَدُونَ}: أي في أنفسهم بالكمالات والأخلاق الكريمة والآداب الشريفة، أي: فيجدر أن يتأسّى بهم"(٣).

ويأتي الزركشي فيضيف ملحظاً لطيفاً بأن هذا الإيغال بالإضافة إلى المعنى الزائد الذي أعطاه فإنه أيضاً راعى الفاصلة القرآنية المناسبة، يقول: "فإن المعنى تم بقوله: {أَجْرًا}، ثم زاد الفاصلة لمناسبة رؤوس الآي فأوغل بها كما ترى حتى أتى بها تفيد معنى زائدًا على معنى الكلام"(٤).

٢- قال الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [العنكبوت: ٤١].

في هذه الآية الكريمة يشبه الله تبارك وتعالى المشركين الذين يتخذون الأصنام والأوثان يعبدونها من دون الله تبارك وتعالى رجاء نفعها وشفاعتها ودفع الضر عنهم بالعنكبوت التي اتخذت بيتاً رجاء نفعه بحمايتها من الأعداء، ولكنه بيت ضعيف وهن، فهو لا يحميها ولا يدفع عنها الأعداء، فكذلك الأصنام والأوثان لا تنفع عابديها ولا تضرهم، ولكن المشركين يجهلون ذلك، فلو كان يعلمون ذلك لما اتخذوا الأصنام والأوثان يعبدونها من دون الله تبارك

(١) التحرير والتنوير ٢٢/٣٦٧.

(٢) نظم الدرر ١٦/١١٠، وانظر الكشاف ٤/١٠، ومفاتيح الغيب ٢٦/٢٦٣، والبحر المحيط ٩/٥٦.

(٣) محاسن التأويل ٨/١٧٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن ١/٩٧-٩٨.

وتعالى.

وقوله تعالى: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} متعلق بجملة: {كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ}، لا بجملة: {وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ}، فيكون تقدير جواب لو: لو كانوا يعلمون أن ذلك مثلهم، وأما أوهنية بيت العنكبوت فلا يجهلها أحد(١).

وهذه الجملة: {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} إيغال، فإن المعنى يتم بدونها، ولكنه جيء بها للتأكيد على جهلهم بعدم انتفاعهم من أصنامهم وأوثانهم، وأن حالهم معهم كحال العنكبوت مع بيتها الوهن الضعيف، "فلو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم، وأن أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه، وما اتخذوا الأصنام آلهة"(٢).

قال الشهاب الخفاجي: "قوله: {لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ} إيغال في تجهيلهم؛ لأنهم لا يعلمونه مع وضوحه لدى من له أدنى مسكة"(٣).

وقلت أضفى هذا الإيغال أيضًا جمالاً صوتيًّا للآيات من خلال دقة مراعاة الفاصلة القرآنية.

٣- قال الله تعالى: {فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} [الذاريات: ٢٣].

في هذه الآية الكريمة يقسم رب العزة والجلال بربوبيته التي وسعت كل شيء على أن البعث حق لا شك فيه كما أنه لا شك في نطق الإنسان حين ينطق.

وقوله تعالى: {مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} إيغال، يستقيم المعنى بدونها؛ ولكن جيء بها للتأكيد على المعنى، فكما أنكم لا تشكون في نطقكم؛ كذلك البعث سيأتي لا شك فيه، ولا ينبغي الشك فيه.

قال ابن كثير: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون"(٤).

ويؤكد ابن عاشور على موضوع التقرير والتأكيد في هذا الأسلوب فيقول: "قوله: {مِثْلَ مَا

(١) انظر البحر المحيط ٣٥٨/٨، والتحرير والتنوير ٢٥٣/٢٠.

(٢) البحر المحيط ٣٥٨/٨.

(٣) عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ١٠١/٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤٢٠/٧.

أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} زيادة تقرير لوقوع ما أوعدوه بأن شبه بشيء معلوم كالضرورة لا امتراء في وقوعه، وهو كون المخاطبين ينطقون، وهو من التمثيل بالأمور المحسوسة"[١].

ويذكر ابن عطية الحكمة في تخصيص النطق من بين سائر الحواس، فيقول: "وشبهه في اليقين به بالنطق من الإنسان، وهو عنده في غاية الوضوح، ولا يمكن أن يقع فيه من اللبس ما يقع في الرؤية والسمع، بل النطق أشد تخلصاً من هذه"[٢].

وكذلك في هذا الإيغال مراعاة للفاصلة القرآنية، وهذه فائدة جمالية للآيات.

(١) التحرير والتنوير ٢٦/٣٥٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/١٧٦.

الخاتمة

حاولنا في هذا البحث تسليط الضوء على أسلوبي التتميم والإيغال، وبيان أثرهما في معاني القرآن الكريم، وهما أسلوبان بلاغيان رفيعان من أساليب البلاغة العربية، ونحمد الله تعالى على توفيقه وإتمامه.

و أبرزما توصل إليه البحث من نتائج:

١. أسلوب التتميم هو الإتيان بفضلة مفيدة في كلام لا يوهم خلاف المراد، وينقسم إلى قسمين: تتميم المعاني وتتميم الألفاظ، ومن أهم أغراضه البلاغية: المبالغة والتأكيد، والاحتياط والصيانة من احتمال الخطأ، وتقويم الوزن في الشعر.

٢. أسلوب الإيغال هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، وينقسم إلى قسمين: إيغال مبالغة وإيغال احتياط، ومن أهم أغراضه البلاغية: المبالغة والتأكيد، والتشبيه، وإتمام القافية في الشعر أو تناظر الفقرات في النثر، وفي القرآن الكريم يأتي الإيغال للتأكيد مع مراعاة الفاصلة القرآنية؛ مما يضفي جمالاً صوتياً للآيات القرآنية.

٣. ذكر البلاغيون ثلاثة فروق بين أسلوبي التتميم والإيغال، وهي أن التتميم يرد على معنى ناقص فيتمه، وأنه يأتي في وسط الكلام وفي آخره، وأنه قد يتضمن معنى من معاني البديع وقد لا يتضمن، بينما الإيغال لا يرد إلا على المعنى التام فيزيده كمالاً ويفيد معنى زائدًا، وأنه لا يأتي إلا في آخر الكلام، وأنه لابد أن يتضمن معنى من معاني البديع.

٤. لأسلوبي التتميم والإيغال أثر في المعنى القرآني، فهما يضيفان فوائد ودلالات في معاني الآيات القرآنية.

٥. بعض المفسرين ينص على اسم هذين الأسلوبين ويذكر أثرهما في معاني الآيات، وكثير منهم يذكر أثرهما في معاني الآيات دون أن ينص على اسم هذين الأسلوبين

ومن أبرز ما يوصي به البحث: مزيد دراسة للأساليب البلاغية في القرآن الكريم وبيان أثرها في معاني الآيات القرآنية الكريمة، فكثير من الأساليب تحتاج إلى دراسة تطبيقية على آيات القرآن الكريم، واستخراج الدقائق البلاغية منها.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس المصادر والمراجع

١. تفسير القرآن العظيم، لعبدالرحمن ابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز- مكة المكرمة ط٣، ١٤١٩هـ.

٢. الإتقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث- القاهرة.

٣. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، دار الفكر- بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٥. الانتصاف من الكشاف، لابن المنير الاسكندري، مطبوع بحاشية الكشاف للزمخشري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبدالله بن عمر البيضاوي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٧. الإيضاح في علوم البلاغة، لمحمد بن عبدالرحمن القزويني ، تحقيق: أ.د. محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.

٨. البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٩. البرهان في علوم القرآن، لمحمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

١٠. البلاغة العربية، لعبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم- دمشق، ط٤، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

١١. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم ابن أبي الإصبع، تحقيق: د.حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- الجمهورية العربية المتحدة، ط١.

١٢. التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٨٤م.

١٣. التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد ابن جزي الكلبي، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
١٤. التعريفات، لعلي الجرجاني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
١٥. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة- الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٦. تَهذيب اللغة، لمحمد الأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون، الدار المصرية- القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٧. التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد المناوي، تحقيق: محمد الداية، دار الفكر- بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن السعدي، دار ابن الجوزي- الدمام، ط١، ١٤٢٥هـ.
١٩. جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
٢٠. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٢١. جمهرة اللغة، لمحمد بن الحسن بن دريد، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة.
٢٢. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٢٣. خزانة الأدب وغاية الأرب، لأبي بكر بن علي ابن حجة الحموي، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ٢٠٠٤م.
٢٤. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد السمين الحلبي، تحقيق: أحمد الخراط، دار القلم- دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ.
٢٥. روح البيان، لإسماعيل حقي الإستانبولي، دار الفكر- بيروت.
٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لمحمود الألوسي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤١٥ هـ.

٢٧. زهرة التفاسير، لأبي زهرة محمد بن أحمد، دار الفكر العربي- القاهرة.
٢٨. الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية- صيدا، ١٩٨٦م.
٢٩. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة العلوي، مكتبة المعارف- الرياض.
٣٠. عقود الجمان في علم المعاني والبيان، لعبدالرحمن السيوطي، تحقيق: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم- القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
٣١. العمدة في محاسن الشعر ونقده، للحسن ابن رشيق القيرواني، دار الجيل- بيروت.
٣٢. عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، لشهاب الدين أحمد الخفاجي، دار صادر- بيروت.
٣٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لمحمود الزمخشري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٣٤. اللباب في علوم الكتاب، لعمر ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٣٥. لسان العرب، لمحمد ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط١.
٣٦. محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٣٨. المخصص، لعلي بن إسماعيل ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
٣٩. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٤٠. المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم، د. عبدالفتاح لاشين، دار الفكر العربي- القاهرة، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٤١. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم العباسي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب- بيروت.
٤٢. مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر- بيروت، ١٣٩٩هـ.
٤٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لإبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

فهرس الموضوعات

الملخص ١٢٣

مقدمة ١٢٥

المبحث الأول: التتميم والإيغال ١٢٧

المطلب الأول: التتميم (تعريفه - أقسامه - أغراضه البلاغية) ١٢٧

المطلب الثاني: الإيغال (تعريفه -أقسامه - أغراضه البلاغية) ١٣٣

المطلب الثالث: الفرق بين التتميم والإيغال ١٣٨

المبحث الثاني: أثر التتميم والإيغال في معاني القرآن الكريم ١٣٩

المطلب الأول: أثر التتميم في معاني القرآن الكريم ١٣٩

المطلب الثاني: أثر الإيغال في معاني القرآن الكريم ١٤٩

الخاتمة ١٥٣

فهرس المصادر والمراجع ١٥٤

فهرس الموضوعات ١٥٨